الرسائل الديوانية

في كتاب وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين

أ.م.د.سرى طه ياسين

الجامعة العراقية – كلية التربية للبنات -قسم اللغة العربية

الملخص

تكتسب الوثائق المرتبطة بالاندلس -أيا كان نوعها- أهمية خاصة ؛ لأنها تُعنى بمرحلة تاريخية ذات خصوصية زمانية اجتماعية مكانية ولها بعد ديني. والبحث ينطلق من هذا النظر في مجموعة وثائق جمعها ودرسها من الناحية التاريخية الدكتور محمود علي مكي في كتاب «**وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين**»، ثم دراستها أدبيا دون إغفال الجانب التاريخي. وهذه الوثائق هي مجموعة رسائل كتبت في عصر المرابطين الذي يعدُ من عصور عدة تعاقبت على الأندلس تحت حكم المسلمين.

وقد توزع البحث على أربعة مباحث سبقها مقدمة وتمهيد، الأول عن عرض الكتاب، ومضامين الرسائل الديوانية، أما المبحث الثاني فكان عن الكتّاب الذين كتبوا الرسائل، وخُصَّ المبحث الثالث عن الرسالة وعناصرها وبناؤها الفني، والمبحث الرابع عن الفنون البلاغية. وتلا ذلك خاتمة وقائمة باسماء المصادر والمراجع . كانت الرسائل اثنتين وعشرين رسالة، وهي على ثلاثة أصناف: حربية جهادية، إدارية قضائية، ورسائل توصية وأمور عامة منها: رسالة عن أسراب الجراد التي غزت المنطقة، ومن هذه المجموعة رسالة واحدة كتبها ابن برد الأصغر وهي من عصر آخرٍ هو عصر الطوائف

ومن السمات الفنية لهذه الرسائل انها:

- اعتمدت سياقا محددا عند الكتابة وإنشاء الرسالة فهناك دعاء للمرسل اليه في البداية ثم الإنتقال الى الغرض الفعلي من الرسالة، وبعدها اختتام الرسالة .

-كان الأسلوب المرسل البعيد عن التكلف مع تجنب الغموض هو السمة الواضحة في الرسائل.

- كل كاتب من الكتاب كان له أسلوبه المتفرد.

- الفنون البلاغية لم تكن غائبة عن الرسائل من ذلك السجع والمجاز التي كانت وسائل إقناع، وهي لم تؤثر على وضوح الأفكار.

- على الرغم من ان هذه الرسائل كانت ذات سمات ادارية لكنها قدمت ما هو مفيد في فهم الحوادث والسياقات التاريخية والمعارك، وطبيعة حكم المرابطين الذي اعتمد مبدأ الشورى في الادارة المحلية وهو نوع حكم قريب من الديمقراطية الحديثة.

ولقد باتت هذه الرسائل وثائق تاريخية تحظى بأهمية كبيرة، وذلك لندرة ما تحمله من معلومات تبين حقيقة تلك الحقبة المجيدة من تاريخ العرب.

الكلمات المفتاحية: الرسائل الديوانية، المرابطين، الأدباء.

Abstract:

The documents that related to Andalusia - of whatever type - are of special importance, because they belong to a historical stage with a specific, temporal, social, and religious dimension. The topic of the research was a group of letters in the era of the Almoravids that turned into documents. These letters / documents were collected and historically studied by Dr. Mahmoud Ali Makki in his book «New Historical Documents on the Almoravids Era,» and the research sought to study them literary without neglecting the historical aspect, since they are documents related to a specific period of time.

These documents are a collection of letters from the Almoravids era, which is one of several successive eras on Andalusia when the Muslims crossed the strait and ruled it, and it was the bridge to cross civilization to the West and restore the soul to Western civilizations. The civilized spirit returned to Europe after translating Greek books into Arabic, and then moved again to Europe.

The research was divided into four sections preceded by an introduction, and preface, the first is the presentation of the book and the contents of the letters, while the second is on the writers who wrote the letters, the third is on the artistic features of the letters, and the fourth is on rhetoric. They followed by a conclusion and a list of references

The letters were twenty-two, and they were of three types of jihadist warfare, administrative, judicial, and finally letters of recommendation and general matters, including one on the locust swarms that invaded the region. From this collection, one letter was written by Ibn Burd Alasghar Younger, and it is from another era.

Among the artistic features of these letters are:

It adopted a specific approach when writing and composing the letter. There is a supplication to the addressee at the beginning, then moving to the actual purpose of the letter, and then concluding it.

The sentimental style, far from being impatient while avoiding ambiguity, was the clear feature of the letters.

The rhetorical arts were not absent from the letters of that artistic rhyme and metaphor, which were means of persuasion, and rhetoric did not affect the clarity of ideas.

- Although these letters had administrative features, they provided what was useful in understanding incidents, historical contexts and battles, and the nature of the rule of the Almoravids, which adopted the principle of shura in local administration, which is a type of government cloe to modern democracy..

These letters have become documents that are important in many ways due to the scarcity of information about that glorious period in Arab history.

Key words: The letters of the court , Almoravids , Literary writer

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، أما بعد فقد سعى هذا البحث الى دراسة كتاب: ((وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين)) - لمؤلفه الدكتور محمود علي مكي - دراسة لا تقتصر على الاستعراض التاريخي، فتلك هي مهمة المؤرخ وإنما استقراء الأساليب الأدبية والسبل التي انتهجها كتّاب هذه الرسائل، والتي أصبحت وثائق تاريخية مهمة، فضلاً عن تعريفها كتاباً أدبياً يحمل سمات فنية، وقدراتٍ إبداعية لإدباء وكُتّاب، وهذه مهمة تتسم بالجدة على الرغم مما يكتنف هذا المسعى من مصاعب بسبب ندرة الدراسات الأدبية للوثائق التاريخية، وكانت هذه واحدة من الصعوبات التي واجهتني عند التصدي لهذا الموضوع . ولأن الرسائل عكست جزءاً من تاريخ الأندلس وطبيعة الادارة، فلم يكن من الممكن إغفال الجانب التأريخي عند وضع خطة البحث وهكذا ترافق المنهجان الأدبي والتاريخي في هذا البحث الذي اشتمل على مقدمة وتمهيد تناول الرسائل الديوانية في الأندلس (عصر المرابطين)، وبعده جاءت المباحث التي انقسمت إلى أربع، تناول الأول فيها عرض الكتاب ومضامين الرسائل الديوانية على وفق تصنيفها حسب ما جاء في الرسالة نفسها، وانقسمت الرسائل إلى ثلاثة أصناف، فهناك رسائل حربية وجهادية للدفاع عن الإسلام، وهناك رسائل إدارية وعسكرية وقضائية، وكان الصنف الثالث رسائل توصية وتولية وأحوال عامة، ولابد من القول: إن عدد الرسائل كان اثنتين وعشرين رسالة منها رسالة واحدة عن قتل الجراد، وهناك رسالة واحدة كتبها ابن برد الأصغر وهي من عصر الطوائف، وسبب ايراد الرسالتين هو أن قتل الجراد كان شأناً مجتمعياً، أما رسالة ابن برد فلها أهمية خاصة ؛ لأن كاتبها كان ذا شأن وقدرة في الكتابة .

وتحدث المبحث الثاني عن الكتّاب الذين كتبوا هذه الرسائل الديوانية مع إيراد التفاصيل الضرورية عن حياتهم وطبيعة أساليبهم في الكتابة، إذ كانوا من الكتاب البارزين وقد جاء ذكرهم حسب تاريخ وفاتهم وهم: (أولاً: ابن برد الأصغر (توفي بعد سنة ٤٤٠هـ)، ثانياً: ابن القصيرة(ت ٥٠٨هـ)، ثالثاً: ابن الجد(ت٥١٥هـ)،رابعاً: ابن القبطرنة(توفي بعد سنة ٥٢٠هـ) خامساً: الفتح ابن خاقان(ت٥٢٩هـ)، وسادساً: ابن أبي الخصال(ت٥٤٠هـ).

وقد خصصنا المبحث الثالث ليكون عن الرسالة وعناصرها وبنائها الفني للرسائل الديوانية من ذلك عناصر بناء الرسالة مثل:

١. المرسل اليه.

٢. المرسل.

٣. نص الرسالة.

وتبع ذلك في المبحث الرابع دراسة للفنون البلاغية في الرسائل ثم تلت ذلك الخاتمة ومن ثم قائمة باسماء المصادر والمراجع والخلاصة باللغة الأنكليزية .

والله ولي التوفيق ...

التمهيد

الرسائل الديوانية في الأندلس (عصر المرابطين)

تعد الرسائل الديوانية منشورات رسمية صادرة عن ديوان الخليفة أو السلطان أو الوالي أو القاضي، ومن الطبيعي أن ترتبط وظائف الرسائل وطرائق كتابتها بأوضاع العصر والتقدم السياسي، والاجتماعي والفكري والحضاري[١]، وهذا يعني ان كل عصر من العصور الأندلسية كانت له رسائل ديوانية .

وفي صدر الدولة الأموية في الأندلس التي أسست عام (١٣٨هـ) على يد عبد الرحمن الداخل[٢]، اتسمت الرسائل الديوانية بسمة محددة فهي كانت ذات طابع أعلامي بحت تكاد تنحصر وظائفها في تبليغ ادارة الحكام[٣]، وهي في جزء منها كانت موجهة إلى العرب النازلين بأطراف مختلفة من الأندلس يستهوونهم ويرجون نصرهم وتأييدهم أو يحذرونهم ويخيفونهم[٤] .

وكانوا في كتاباتهم تلك يقلدون النثر الديواني المشرقي .

ولكن في أثناء مدة الحكم في العصر الأموي في الأندلس وبداية عصر الطوائف الذي أعقب انهيار دولة الأمويين كثر الوافدون من العلماء، والأدباء، والمفكرين على الأندلس، وكل هؤلاء اسهموا في التطور الحضاري والفكري اللاحق في مجالات الحياة كافة[٥] .

---

(١) ينظر: الرسائل والمقامات (عبد الحميد الكاتب - بديع الزمان -الحريري): عمر فروخ، بيروت، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، ط٢، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، ٦-٨؛ وفنون النثر الأدبي في ظل المرابطين: د. مصطفى الزباخ، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء - المغرب، والدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٧م: ١٦٧ .

(٢) ينظر: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، كان راسخ العلم، نافذ العزم، توفي سنة ١٧٢ هـ، ينظر: تاريخ أفتتاح الأندلس: ابن القوطية (ت: ٣٦٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م: ٥٥، و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقَّري، أحمد بن محمد (ت١٤٠١هـ)، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٥، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨: ٣/٢٧-٣٤ و ٥٣..

(٣) ينظر: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه واشكاله: علي بن محمد، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٩٩٠م: ٢١٣ .

(٤) ينظر: فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة علي الاوسي، مطبعة بابل، ، بغداد، ط٥، ١٩٨٧م : ٥٦ .

(٥) ينظر: فصول في الأدب الأندلسي: ٥٦ .

وبعد استقرار أحوال الأندلس وبعد ان تعددت الدويلات، والممالك الصغيرة، فان كل حاكم استقل بمنطقة أو مدينة كان لا بد ان يقوم بمراسلة عماله وولاته وقضاته، وبالتالي تعددت مجالات وأغراض الرسائل الديوانية وأخذت اشكالاً متنوعة مثل الوثائق، ومن ذلك مواثيق الأمان، ومعاهدات الصلح، وكتب استنهاض الهمم[١]، وبما ان الكتبة كانوا من الوافدين من المشرق العربي فان الكتّاب اعتمدوا على نماذج من النثر الديواني المشرقي في البداية . وسبب زيادة الدويلات فان الكتابة الديوانية بدأت تحمل سمات فنية جديدة توزعت ما بين الإيجاز والإسهاب وبذلك راحت تنفرد عما سبق . [٢]

لقد ضم كتاب: (وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين) رسائل متنوعة الأهداف والغايات، فقد كانت هناك جملة مواضيع اهتمت بها الرسائل، منها الاهتمام بالشأن المجتمعي، وكيفية ادارة أمور الدولة والحكم .

وكانت هناك رسائل ذات طابع رسمي، وهي ما شكل المجموعة الثانية من الرسائل إذا أردنا تصنيفها على وفق الموضوعات التي تضمنتها هذه الرسائل، ويشمل ذلك شورى الفقهاء الذين تعتمد الدولة كثيراً على آرائهم، وكذلك دعوة الناس إلى اطاعة الوالي وتنفيذ أوامره التي تتعلق بالقضاء . من ذلك رسالة ابن القصيرة التي قال فيها: «من إختيار رجل منكم يصلح لولاية القضاء عندكم ... فرأينا التوقف في الأمر حتى يقع اتفاقكم»[٣]، والدعوة إلى إطاعة الوالي وردت في رسالة ابن القصيرة أيضاً: «وإن تكونوا لواليكم أبي محمد أبقاه الله وأعزه – على طاعة صحيحة ونفوس محضة صريحة، وما أمركم أتيتموه، وما نهاكم عنه تركتموه»[٤].

ولو تعقبنا الرسائل الديوانية في عصر المرابطين لوجدنا أن الرسائل وبشكل عام تهتم بالقضايا والأحداث لا سيما الادارية، إذ يتعين بموجبها الولاة والقضاة والقادة .

وكانت الرسائل تقوم مقام الأوامر فكانت هناك رسائل التولية والعزل، كما تحدد العلاقة الادارية بين الولاة والقضاة من جهة، وقادة الجيش من جهة أخرى كما كانت هناك رسائل تسلط الضوء على العلاقات الخارجية[٥] .

---

(١) ينظر: فصول في الأدب الأندلسي: ٥٧، وأدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين: محمود محمد عبد الرحمن خبازي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩١م:٩٥

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، إبراهيم علي أبو الخشب: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م: ١١٩ .

(٣) ينظر: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: د. محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ٧٧.

(٤) ينظر: وثائق تاريخية جديدة: ٧٣.

(٥) ينظر: أدب الرسائل الديوانية: ٩٥ -٩٦.

وقد اتسم النثر الديواني في عصر المرابطين بالجزالة، وحسن الابتداء والانتهاء والاكثار من الجمل الدعائية والاعتراضية ونجد أن الأمراء كانوا يشاركون الكتاب في صياغتها وانشائها[١] .

وأخذت الرسائل الديوانية في عصر المرابطين تنتعش قياساً ببقية الفنون الأدبية لما تمثله في تعبيرها عن الأوضاع السياسية والحضارية والفكرية، وقد تعددت مجالاتها ولمع في صياغتها كتاب كثيرون نستطيع ان ندرك من خلال كتاباتهم التطور الذي وصل اليه النثر الديواني، وهو ما سيتطرق اليه البحث لاحقاً.

(١) ينظر: نفح الطيب: ٣ / ٣٨، وأدب الرسائل الديوانية: ٩٦ .

المبحث الاول

عرض الكتاب ومضامين الرسائل الديوانية في كتاب وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين

أولاً: عرض الكتاب :

يضم الكتاب اثنتين وعشرين رسالة، واحدة منها لا يعرف من كتبها، وواحدة اخرى ليست من عصر المرابطين ذلك ان من كتابها ابن برد الأصغر (توفي بعد سنة ٤٤٠هـ)[١] ولم يطل به العمر ليعيش في عصر المرابطين.واسرته كانت موالية لبني شهيد وزراء بني أمية.

وقد بدأ الكتاب بعرض الوثائق الجديدة عن عصر المرابطين، وابراز اهميتها في اضاءة تلك الحقبة المجيدة، وقال المؤلف د . محمود علي مكي عن الوثائق: إنها جديدة؛ لأنها جاءت بعد الرسائل – الوثائق – التي عثر عليها د . حسين مؤنس ونشرها في سلسلة كانت كما يلي:

- الأولى: الثغر الأعلى الأندلسي – عصر المرابطين – مع أربع وثائق جديدة.
- الثانية: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وايامهم في الأندلس .
- الثالثة: فكانت نصوص سياسية عن مدة الانتقال من المرابطين الى الموحدين .

ثم انتقل الكاتب ليوضح ان الوثائق غير مطبوعة وانها استخرجت من مخطوطة وتحدث بتفصيل عن الرسائل – الوثائق – وبعدها ينتقل الكاتب للحديث عن كتّاب الرسائل، وتصنيفهم مع ذكر معلومات وافية عنهم، منها ما يخص ولادتهم وانسابهم وثقافتهم وسيرتهم، وسيرد محور خاص بذلك.

وقبل إيراد نصوص الرسائل – الوثائق – افرد الكاتب صفحات عدة وتحدث باستفاضة عن الرسائل وكانت ملحوظته الاساسية هي ان الرسائل: (كلها تقريباً صادرة عن ديوان الأنشاء الرسمي في عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، الذي حكم المغرب والأندلس بين سنتي (٥٠٠ و ٥٣٧ هـ)[٢] . اما

(١) أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد، كان وزيراً في أيام الدولة العامرية، لقب بابن برد الأصغر، له أشعار احتذى طبع المشارقة بالأخص الشعراء العباسيين أمثال ابن الرومي، توفي بعد سنة ٤٤٠هـ تمييز له عن جده، ابن برد الأكبر . ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله (ت ٤٨٨هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م: ص١١٥، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، الدار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م: ق١/ج٣٧٤/٢.

(٢) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ١٣ .

ملحوظته الثانية فأنها تنص على أن: (جميع الكتّاب اندلسيون، وان أكثرهم كانوا من بين الذين برزوا في ظل ملوك الطوائف ممن قدر للأدب في عهدهم نهضة كبيرة)[١] .

وبعدها خصص الكاتب نحو نصف الكتاب للحديث عن مضمون الرسائل واحدة واحدة مستعرضاً كل ما يتعلق بالرسالة، وذلك هو اختصاص المؤلف الجاد الساعي الى ترك بصمة في ميدان عمله .

ثانياً: مضامين الرسائل

١/ الرسائل الحربية والجهادية للدفاع عن الإسلام

أ/ الرسالة الاولى :

ويمكن القول إن مضمونها كان عن الأوضاع الحربية في الأندلس، وكاتب الرسالة هو أبو عبد الله بن أبي الخصال عن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشقين ومناسبة الرسالة كانت قدوم وفد يترأسه ابن رشد[٢] إلى مراكش عام ٥١٩هـ على الأرجح .

وقد استقبل علي بن يوسف الوفد الذي نقل اخبار الوضع في الأندلس خصوصاً ما فعله النصارى المعاهدون[٣] الذين استدعوا الملك (ابن رذمير) أو أَلفونسو الأول الذي جرد حملة كبيرة على الأندلس واخترقها من الشمال إلى الجنوب ودمر كل قرية مر عليها وقد دخل اقليم غرناطة وظل يجوب المدن عاماً كاملاً من دون أن يجد مقاومة تذكر من اهلها .

وتقول الرسالة ((... ورد علينا الفقيه الأجل المجاور أبو الوليد ابن رشد ... بسط لدينا شأن تلك الجزيرة – كلأها الله وجلاها، ووصف من حالها ما اصخنا له استوفاه وجال بميدان البيان أفضح مجال، وعرض الأمور في معرضها بأبلغ مقال))[٤] .

وهذه الرسالة عرضت لأهم الدوافع التي تعلقت بمجيء الفقيه ابن رشد إلى مراكش عاصمة الدولة المرابطية ونقل اخبار الوقائع ومجريات الأحداث من أجل التأهب، وقد اشارت الرسالة باقتضاب إلى طبيعة ومجمل ما يجري .

---

(١) المصدر نفسه: ١٥ .

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد جد الفيلسوف ابن رشد، ولد بقرطبة عام ٥٤٠ هـ . توفي ٥٢٠ هـ، ينظر: الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب: ابن فرحون المالكي إبراهيم بن علي بن محمد (٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ،(د.ت)رقم تر (٧٢)، ٢٤٨/٢ – ٢٥٠ .

(٣) هم رهبان النصارى المستعربون الذين مكثوا في الأندلس بعد فتحها وحاولوا تدبير تحالف ضد الحكم الإسلامي رغم مواثيقهم معهم في عهد ابن تاشفين وتم ابعادهم . ينظر: موسوعة تأريخ الأندلس: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م :١/ ٧٠

(٤) وثائق تاريخية عن عصر المرابطين: ٦٠ .

ب/ الرسالة الثانية :

هي بيان من الأمير يوسف بن تاشفين للأندلسيين يدعوهم إلى الإعداد والتهيؤ للجهاد، والدفاع عن الإسلام . وكاتبها ابن أبي الخصال، والرسالة صادرة عن علي بن يوسف منتصف شوال عام ٥٠٧ هـ، وأتخذت الرسالة شكل بيان من الأمير موجه إلى أهل الأندلس كافة يدعوهم إلى التجهز للجهاد، ودفع المهاجمين النصارى، ويؤيد ذلك المعلومات القليلة عن تلك السنة التي كانت سنة جهاد متواصل ونشاط عسكري، ابلى فيها المرابطون بلاء جيداً على الرغم من عملهم لم يتكلل بالنجاح، بسبب تجمع القوى المعادية من جهة، وكراهية بعض طبقات الشعب الأندلسي لحكم المرابطين .

وتكشف هذه الرسالة اهتمام الوالي وحرصه على كل ما يتعلق بالأمور الجهادية لنصرة الدين، تقول الرسالة (واستنفرنا القريب والبعيد مستشعرين اخلاص النية، وصدق حمية في نصر دين الإسلام، ومنع جانبه أَن يضام أو يناله من عدوه اهتضام)[١] .

واهتمت الرسالة بالجانب الروحي بالإضافة إلى اهتمامها بالجانب المادي، فأمير المسلمين يدعو إلى إخلاص النية لله والتوسل اليه .قائلاً: (إليكم خطابنا هذا اعزكم الله فامتثلوا مذهبنا فيه، واشيعوه عن الخاص والعام، ليرفعوا أيديهم بالتضرع في أوقات المناجاة والقيام ويجمعوا بين تعفير الجباه وتحريك الشفاه تحت جنح الظلام ويستوهبوا الله من إعزاز جانبنا)[٢].

٢/ الرسائل الادارية والعسكرية والقضائية

- **الرسالة الثالثة: النظام الاداري والسياسي والعسكري للمرابطين .**

كاتب الرسالة هو ابن أبي الخصال، وهي صادرة عن علي بن يوسف إلى ابنه أبي بكر، والرسالة صدرت من حضرة مراكش السابع والعشرين من صفر عام ٥٢٠هـ / ٢٤ آذار ١١٢٦ م .

وهذه الرسالة كانت رداً من علي بن يوسف على كتاب ورده من ابنه ابي بكر وصف فيه (الحالة الجارية بحكم الأقدار النافذة الماضية)[٣]، وهذه العبارة تشير الى حدوث طارئ خطير له آثار سلبية، ذلك ان رد الاب على ابنه اشار إلى العبارة بالقول: (وألا صارف لما أمضاه، ولا معقب لما شاءه وقدره لا إله سواه)[٤] .

والرسالة تتحدث بعد ذلك عما قد يكون لهذا الحادث من تأثير على المسلمين في الأندلس من تثبيط الهمم ووهن العزائم وإضعاف الروح المعنوية، ولهذا دعت الرسالة أبا بكر إلى أن يعمل على ضبط الأمور

(١) المصدر نفسه، ص ٦١ .
(٢) نفسه: ٦١ .
(٣) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص ٦٢ .
(٤) المصدر نفسه: ص ٦٢ .

ومواصلة الجهاد، فقد قرر السلطان علي بن يوسف ان ينصب ابنه ابا بكر ليكون القائد العام للجيوش في الأندلس .

والرسالة في مجملها يمكن ان نعدها من النثر الأعلامي التقليدي الذي يقوم بمهمة تبليغ يصدر من فرد واحد الى مجموعة واسعة . تقول الرسالة في نهايتها في مهمة بناء المعنويات: (ويتعين عليك أن تقدره حق قدره، وتستفرغ فيه جهداً وجداً ووسع صدرك وابن على الصبر والأناة أمرك، واحتمال ما تكرهه، لتنال من مغبة ذلك، ما تحمده)[١] .

- **الرسالة الرابعة :**

كاتب الرسالة هو ابن أبي الخصال وهي صادرة عن علي بن يوسف من حضرة مراكش لخمس بقين من ذي الحجة سنة (٥٢٣ هـ - ٢٨ كانون أول / ١١٢٩م) .

والرسالة موجهة الى قاضي ملقة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عمر القيسي المالقي[٢] وهي تخص النظام الاداري، والعلاقة بين السلطتين التنفيذية والقضائية، ويبين المهام القضائية الموكلة إلى القضاة .

وهو ما يدلل على عناية سلاطين المرابطين واهتمامهم بأمور رعيتهم وحرصهم على تطبيق العدالة ونزاهة القضاء (وفي هذا ما يضاعف من قيمة الرسالة إذ أنها ليست خاصة بحالة معينة محدودة، بل هي أشبه بدستور تسنَّه الدولة، وتحدد فيه إختصاص السلطة القضائية والعلاقة بينها وبين سائر السلطات)[٣] .

وموضوع الرسالة يتمحور حول مجيء وفد من أَهل مالقة واعمالها شاكين من الظلم الذي تعرضوا له، مطالبين بحقوقهم، رافعين ذلك الأمر إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشقين، لكن الأمير قرر ان لا ينظر في هذه الشكوى إلا بعد إقرار قاضي البلدة بصحة ذلك .

تقول الرسالة: (بأنا لا ننظر لاحد منهم في حق يدعيه، ولا أمر يوجبه أو ينفيه، الا بعد ان يأتي ببيان من قاضي بلده، وكتاب ينطق عن صحة ما بيده فانصرفوا وفي نفوسنا - علم الله - من قبله ما يشق حمله، ولا يخف مثله، فإن لا يمكن الا ان يكون فيهم الصادق البر، الرجل المضطر)[٤] .

---

(١) نفسه: ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) القاضي أبو محمد عبد الله بن عمر بن أحمد الوحيدي، واحد من أعلام زمانه، تولى القضاء سنة (٥٣١هـ)، وترك القضاء بعد ضعف جسده، وتوفي سنة (٥٤٣ هـ) .للمزيد ينظر: تأريخ قضاة الأندلس: الفه الشيخ أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي(ت٧٩٢هـ) وله اسم آخر وهو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، ط ٥، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ٣٥ .

(٤) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ٦٣ .

٣/ رسائل التوصية والتولية والأحوال العامة:

- **الرسائل الخامسة والسادسة والسابعة: وصايا السلطان المرابطي إلى رعيته الأندلسيين .**

كتب هذه الرسائل الثلاث أبو بكر بن القصيرة[١]، وهي صادرة عن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، الرسالتان الخامسة والسادسة وجهتا من عاصمة دولة المرابطين مراكش، في حين وجه الامير علي بن يوسف الرسالة السابعة من محلته بظاهر قرطبة .

وموضوعات الرسائل محورها وصايا السلطان المرابطي الى رعيته، ودارت المعاني في ثلاثة جوانب هي:

١- الجانب الديني الذي طبع المخاطبات النثرية بطابعه:

وقد برع الكاتب ابن قصيرة في اسلوب المخاطبات الدينية من ذلك قوله في **الرسالة الخامسة :**

(ومما نوصيكم به ونحثكم عليه - وهو - ولا توفيق الا بالله - مجمع صلاح دينكم ودنياكم وداعية انتظام اموركم في أسلاك مناكم - تقوى الله والائتلاف على الرضا والكون في ذات الحق اخوان وداد، لا ينطوي بعضكم لبعض على حزازات ولا حرارات أحقاد)[٢] .

٢- الحض على طاعة الوالي وإلتزام اوامره :

وفي هذه الرسالة بدا نوع من اللامركزية في حكم المرابطين اذ يقول علي بن يوسف في الرسالة السادسة يقول عن الوالي أنه : (بلساننا متكلم، وكما في ضميرنا مترجم، وفي قالب رأينا مفرغ - ما امضاه امضيناه، وما وقفه وقفناه)[٣] .

وهذا يتكرر في الرسالة السابعة .

٣- تنظيم امور الدولة وتسيير أمور الحكم :

أشار الكاتب في الرسائل إلى جملة من الأمور الادارية وكيفية تسيير أمور الدولة ووصايا تخص شؤون الرعية مع توجيهات بطاعة أولي الأمر وعدم الخروج: (وليبصر كباركم صغاركم، وحسبنا هذا إنذار لكم، وإعذاراً اليكم، ولا عذر بعد، ولا يلم من تعدى الا نفسه، وبالله التوفيق والسلام عليكم)[٤] .

---

(١) ذو الوزارتين أبو بكر بن محمـد بن سليمان المعروف بابن القصيرة، وزير وأديب وفقيه، توفي سنة (٥٠٨ هـ) . ينظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي الأندلسي، لأبي الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ)، تح: د . شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ١٩٥٥م: ٣٥٠/١، وذو الوزارتين وزير المعتمد بن عباد ووزير يوسف بن تاشفين، ابن القصير حياته وأدبه، اسية الهاشمي البلغيثي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، المكتبة الرقمية، ص٢٨.

(٢) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٦٩ .

- **الرسالتان الثامنة والتاسعة[١]: توصية للعمال (الولاة) بضرورة استشارة الفقهاء:**

الرسالتان هما مخاطبات رسمية وتدللان على اهمية ودور الفقهاء وبيان مكانتهم في امور الحكم .

وكاتب الرسالتين هو ابن القصيرة وقد وجهتا عن علي بن يوسف بن تاشفين الاولى من مراكش والثانية من محلة الأمير بظاهر مدينة سبتة[٢] .

وما يجمع الرسالتين هو أنهما معاً تتحدثان عن موضوع واحد الا وهو مكانة الفقهاء في الدولة المرابطية، وضرورة اخذ رأيهم واتباع مشورتهم، وهذا بحد ذاته يشكل نوعاً من الديمقراطية بالمفهوم المعاصر اذ يقوم على فكرة عدم الاستبداد بالرأي بل اللجوء الى التشاور .

وقد اشارت الرسالة الثامنة إلى ذلك اشارة صريحة واضحة اذ امرت عامل الأمير أن يأخذ برأي الفقيه: (ينبغي لك ان تشاوره في كل ما تأتي وتذر، وتورد وتصدر، وتقدم وتؤخر فلن تعدم منه مشيراً نصيحاً وظهيراً مشيحاً، وطبيباً للعلل مريحا)[٣] .

وكانت الرسالة التاسعة عن اهمية تعضيد القضاة والوقوف الى صفهم عند اصدارهم لاحكام قضائية تلقي معارضة من قبل جماعات ترى ان الأحكام غير صائبة، تقول الرسالة: (ويزعمون ان شأن الحق غير شأنه، وشتان ما بينهم وبينه في الفضل والدين والسنن المستقيم، فانكرنا ذلك أشدَّ النكير، واعتقدنا فيهم ان لم يكفوا عنه أبلغ التغيير)[٤] .

- **الرسالة العاشرة: وهي تتعلق بأمور ادارية تخص البيعة والتولية :**

كاتب هذه الرسالة هو ابن القصيرة، وقد كتبها عن علي بن يوسف بن تاشفين، وقد صدرت من حضرة مراكش، ولا يعرف تاريخ كتابتها على وجه الدقة، والراجح انها صدرت عن الأمير علي بن يوسف في أوائل أيام حكمه أي في سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) .

اما موضوعها فكان رد من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين على كتاب وصل اليه من بعض اعمال مملكته في أرض الأندلس .

والرسالة قصيرة المضمون لكن فيها اشارة، وذكر الى هناك: (صكاً يصلكم صحبة جوابنا هذا تحملون فيه على ما تضمن كتاب بيعتكم، لا يخالف بكم عنه، ولا يخرجون في دقيق من الأمور ولا جليل عن سبيله، والله ولي حانبكم يحميه، وما فيه مزاح عللكم يسنيه، بمنه ويمنه والسلام)[٥] .

(١) نفسه، ص ٦٩ – ٧٠ .
(٢) الرسالة الثامنة غير معروف تاريخ صدورها، اما الثانية فتعود إلى شهر ذي الحجة سنة (٥٠٦ هـ) (١٧ / حزيران / ١١١٢)
(٣) وثائق تاريخية جديدة: ص ٦٩ .
(٤) وثائق تاريخية جديدة: ص ٧٠ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٧٠ .

- **الرسالة الحادية عشرة : كاتب الرسالة هو ابن القصيرة من حضرة مراكش، وقد صدرت من حضرة مراكش اواخر ذي الحجة سنة ٤٩٩ هـ (الأول من أيلول عام ١١٠٦ م) والرسالة صادرة عن علي بن يوسف نيابة عن ابيه .**

والرسالة تدلل على كثرة السفارات التي يقوم بها أفراد من الأمراء لتفقد الأوضاع في بلاد الأندلس وهو ما يوضح اهتمام أمراء المرابطين بالأندلس .

(وقد كان الأمير أبو الطاهر اخونا الأعز علينا ادام الله عزه تقدم لنا بين يدي ذلك بجلاء تلك الأحوال في مناصها وعرف ما تستدعيه من الاعمال عامها وخاصها، وما كنا بذلك جاهلين ولا عنه غافلين وانا بما قبلكم لمهتبلون، والى ما يلم الشعث ويرى المنتكث لديكم ناظرون وفيما نرجو له الصلاح الشامل لكم عاملون)[١] .

- **الرسالة الثانية عشرة: المراسلات الادارية وأوضاع بلنسية :**

كاتب الرسالة ابن القصيرة وقد كتبت الرسالة سنة ٤٩٩ هـ، وهي في جوهرها لا تختلف عن سابقتها في موضوعها وظروفها، فقد صدرت عن علي بن يوسف بن تاشفين نيابة عن ابيه، وهي رد على رسالة وردت عن أحد عمال المرابطين في الأندلس تشرح بشكل خاص وضع مدينة بلنسية[٢] التي لحقها الكثير من الضرر بعد حكمها من قبل السيد القمبيطور .

تقول الرسالة (وقد وردنا كتابك الأثير، المؤرخ بمستهل ذي القعدة الموفى بين يدي الشهر المذكور، فاجتليناه وتصفحناه، وأتينا على مجمل ومفصل ما وعاه ولم نتجاوز حرفاً الى ما بعده حتى تأملناه وأحطنا علماً بفحواه ونجواه)[٣] .

- **الرسالة الثالثة عشرة: رسالة ادارية إلى سكنة بلنسية:**

وهذه الرسالة من أنشاء وصياغة ابن القصيرة أيضاً، وهي موجهة من الأمير علي بن يوسف من مدينة مراكش عاصمة المرابطين في يوم الأربعاء من شهر محرم الحرام عام ٥٠٠هـ / أيلول ١١٠٦ م، وقد أصبح علي بن يوسف هو الأمير بعد وفاة ابيه .

---

(١) نفسه: ص ٧١ .

(٢) بلنسية: مدينة تقع في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاية سنة عشر يوماً، هي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس . الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م: ٩٧ .

(٣) وثائق جديدة عن عصر المرابطين، ص ٧٢ .

ويرى د . محمود علي مكي أن الرسالة موجهة إلى أبي محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة[١] .

وجاء رأيه هذا بعد أن رأى أن المراجع التاريخية مضطربة بصدد هذه الشخصية .

والرسالة قصيرة لكنها خدمت الغرض الذي كتبت لأجله وهو وجوب طاعة من ولاه الأمير على مدينتهم: (وان تكون لواليكم أبي محمد عبد الله بن محمد - أبقاه الله وأعزه - على طاعة صحيحة، ونفوس محضة صريحة، ما امركم به اتيتموه، وما نهاكم عنه تركتموه، لا تختلفون في حال يأتيها صالح المسلمين ومضار المشركين عليه) .[٢]

- **الرسالة الرابعة عشرة: استدعاء الكاتب ابن الأزرق ليعمل في ديوان الأنشاء :**

الرسالة كتبها أبو القاسم بن الجد[٣] بأمر أمير المسلمين علي بن يوسف من مدينة مراكش الى الكاتب ابن الأزرق[٤] .

وتاريخ الرسالة يعود الى ١٣ من محرم سنة ٥١٤ هـ (١٤ نيسان سنة ١١٢٠ م) .

والرسالة تستدعي ابن الازرق إلى مراكش ليعمل في ديوان الأنشاء، وتقول الرسالة :

(... ما بعث على استجلابك واستكتابك، ودعا إلى استقدامك واستخدامك فاذا وصل اليك كتابنا هذا فانظر في الحركة نحونا والنقلة، واستشعر الخير والخيرة في الرحلة)[٥] .

- **الرسالة الخامسة عشرة في الرفق بالرعية :**

انشأ الرسالة ابن الجد عن علي بن يوسف بن تاشفين إلى عامله عبد الله بن محمد بن فاطمة، ويرى ابن عذاري انها تعود لسنة (٥١٠ هـ / ١١١٦ - ١١١٧م) .

ويدور موضوعها حول الرفق بالرعية، تقول الرسالة : (أن نجد عهدنا الى عمالنا - عصمهم الله - بالتزام أحكام الحق وإيثار اسباب الرفق، لما نرجو في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والآجل والله تعالى ييسر لما يرضيه من عمل وقول بمنه)[٦] .

---

(١) المصدر نفسه: ص ٤٦ .

(٢) نفسه: ٧٣.

(٣) أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرخ بن الجد الظهري، توفي عام (٥١٥ هـ)، ينظر: الذخيرة: ق ٢ / مج ٣ / ٢٢٠ .

(٤) أبو بكر يحيى بن همام عمل كاتباً عن ابن هود، وليوسف بن تاشفين ولابنه علي جاء مراكش سنة (٤٩٥هـ) توفي سنة ٥٣٧هـ، ينظر: التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي البلنسي، لأبي بكر محمد بن عبد الله (ت: ٦٥٨هـ)، المحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ١٦٩/٤، ترجمة رقم ٤٩٨.

(٥) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص ٧٤ .

(٦) المصدر نفسه: ص ٧٤ .

- **الرسالة السادسة عشرة : وموضوعها تقريع أهل غرناطة على شغبهم، والرسالة كتبها ابن الجد في عهد علي بن يوسف، ويرى ابن خاقان في كتابه ((قلائد العقيان)) أن تأريخ الرسالة يعود إلى ١٩ رمضان عام ٥٠٧ هـ / ٢٧ شباط ١١١٤ .**

ويدعو الأمير أهل غرناطة إلى طاعة الوالي، والهدوء والكف عن الشغب والرسالة تعكس روح التمرد عند أهل الأندلس .

ومما ورد في الرسالة (لقد آن لحركتكم فيه ان تهدأ، وللنائرة بينكم ان تطفأ، ولذات بينكم ان تنصلح ولوجوده المراشد بينكم ان تتضح، فاذا وصل اليكم خطابنا هذا فاتركوا سابقة الهوى، وأسلكوا معه الطريقة المثلى ودعوا التنافس على حطام الدنيا)[١] .

- **الرسالة السابعة عشرة: تولية شخص لم تذكر الرسالة أو المصادر اسمه، والرسالة كتبها ابن الجد عن الأمير علي بن يوسف وصدرت عن مدينة مراكش في العشرين أو واحد وعشرين من ربيع الأول عام ٥١٠ هـ (٢ أو ٣ من آب سنة ١١١٦ م) .**

والرسالة لها أهمية تاريخية بالغة؛ لأنها تتحدث عن الكثير من تأريخ الجزائر الشرقية في بداية استيلاء المرابطين عليها، فهي ظلت بيد من يحكمها من بني هود لإخلاصهم واستبسالهم في الدفاع عنها .

وهذه المنطقة شهدت في هذه المدة حروباً عنيفة وهجومات من دول وممالك عدة ضد الحكم الإسلامي، وهجمات مضادة قام بها المسلمون لاسترداد الأجزاء التي سقطت بيد المهاجمين، والرسالة تحمل من الوصايا ما هو ثمين وترشد الوالي الى كيفية سياسة الرعية .

(واستشعر تقوى الله سرَّك وجهرك واجعلها عماد أمرك فعليها مدار الاعمال . وبها صلاح الأحوال، وحسن في أهل تلك الجزائر – جبرهم الله – سيرتك)[٢] .

- **الرسالة الثامنة عشرة: وموضوعها تولية قاض، والرسالة كتبها ابن الجد من دون أي إشارة إلى تاريخها، والمهم في هذه الرسالة انها تبين بوضوح طبيعة الحكم المرابطي القائم على التشاور والأخذ برأي الأغلبية فأهل البلد هم من يعين القضاة وليس الوالي أو الأمير نفسه مع احتفاظ الأمير بصلاحياته في حال عدم الأتفاق .**
- **الرسالتان التاسعة عشرة والعشرون: وهما من جنس واحد وإن اختلف الكاتب، والأولى موضوعها الحض على قتل الجراد، وكتبها أبو بكر بن القبطرنة، والثانية كتبها الفتح بن خاقان، والرسالتان تكلف الكاتبان فيهما الكثير واستعرضا موهبتهما، ويرى د . محمود علي مكي:**

(١) نفسه: ص ٧٥ .

(٢) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص ٧٦ .

(أن أدب الكاتبين لا يمثل لنا الا نوعاً من الانحطاط الفكري والتكلف في الأسلوب، ولهذا فان نصيهما الى جانب قلة قيمتهما التاريخية ليس جديرين بان يوضحا في النصوص الأدبية الأندلسية القيمة)[١] .

- **الرسالة الحادية والعشرون: وموضوعها واحد من فتوحات الأمير علي بن يوسف، ولا يعرف الكاتب، وهي رسالة على العكس من الرسائل فقد كتبت في غرناطة[٢]، وكانت موجهة إلى مراكش[٣] من دون معرفة تاريخها لكنها كانت تتحدث عن فتح كبير وانتصار باهر وقد ارفقت هذه الرسالة برسالة اخرى كتبها أبو عبد الله محمد بن سير، ووزعت على جميع المدن والحواضر لقراءتها، وورد في الرسالة :**

(من حضرة غرناطة حرسها الله، عن أنفس مملوءة ثلجاً وانباء سارة الأرض ارجاً ولم تدع في قناة الدين إمتاً ولا عوجاً، لله على ذلك من المحامد اعمها وهو ولي منحه الحافلة يكملها ويتمّها)[٤] .

- **الرسالة الثانية والعشرون: وهذه الرسالة لا ترجع إلى عهد المرابطين، وكاتبها هو أبو حفص ابن ب رد الأصغر، المتوفى عام (٤٤٥ هـ - ١٠٥٣ م)، والجزء الكبير من الرسالة اقتبسه ابن بسام في كتابه الذخيرة .**

والرسالة موضوعها ايقاع الصلح بين قبيلتين متحاربتين، والرسالة بليغة ومنها: (وقد علمتم أن الحرب مثكلة النفوس، متلفة الأموال، مندمة في العواقب والمآل، تلذ مباديها للأشرار وتلقي كلاكل عواقبها على الأخيار، وقلما تقدح شعلها ويغلي مرجلها إلا فراش الشر وذؤبان الطمع)[٥] .

(١) المصدر نفسه: ص ٥٨ – ٥٩ .

(٢) غرناطة:مدينة بالأندلس بينها وبين وادي اش أربعون ميلاً، وهي من مدن البيرة، ينظر :الروض المعطار في خبر الأقطار: ٤٥ .

(٣) مراكش: تقع شمال أغمات، بناها يوسف بن تاشفين عام (٤٧٠ هـ)، ينظر: الروض المعطار: ٥٤٠.

(٤) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ٨٠ .

(٥) المصدر نفسه: ص ٨٢ .

المبحث الثاني

كتاب الرسائل الديوانية وأساليبهم الأدبية

أولاً: ابن برد الأصغر (؟ - توفي بعد سنة ٤٤٠ هـ) .

لقد تهيأت ظروف خاصة لابن برد الأصغر فقد تربى في كنف جده ابن برد الأكبر، وهو ما كان له الأثر الكبير في تكوينه الأدبي، فهو نشأ في بيت عريق في صناعة الأدب، شعره ونثره، وهو لذلك يقول: ((فإنّ الله جعلنا أهل بيت أشرب حب صناعة الكلام نفوسهم وشغل بطلب البيان والتبيين))[١] .

وفي انشائه حرص ابن برد الأصغر على ان تكون مفرداته فيها من الجزالة ما يساعد تماماً في الايضاح اللفظي الذي تبتغيه هذه المفردات ألا وهو أنها موضحة للسياق بما يناسب المفهوم العام المراد الافصاح عنه[٢] . ومن أمثلة ذلك قول ابن برد: (ممن لا يحفل بعار، ولا يستحي من فرار، فإن هلك لم يفقد، وإنْ نجا لم يحمد، ثم ترتكس جماهير الناس وأولوا الذكر والأعاظم أخطاراً والأحاسن آثاراً)[٣].

والمتأمل في النص يتبين له أَن ابن برد كان يختار الفاظه بعناية لاثراء بنائه اللغوي من اجل تحقيق هدفه، ولهذا فقد برع في بلورة مذهب نثري يقوم على الخلط بين المذاهب وعدم الانتماء الى مذهب فني واحد في الكتابة، بل راح يتأرجح بين مذاهب النثر الفني المشرقي مازجاً بينها مزجاً يشي بقلة ادراك للحدود الزمنية والفنية الفاصلة بينها[٤] .

ولذا فان الكاتب تراه مولعاً بالسجع تارةً والأزدواج تارة أخرى، وقد يهجر الأثنين معاً ويعمد إلى تنسيق الجمل ويجعلها منسجمة انسجاماً موسيقياً بين مقاطع تتعادل صوتياً وتتجانس، وقد يرسل القول إرسالاً من دون الاعتماد على أي محسن بديعي، ومن نثره الحافل بالسجع والبديع قوله: ((في لجج تبعد عنها السواحل، ويبوءون بفوادح تنهد عنها الكواهل، وأصحُّ الناس لباً، وأنفذهم نظراً وخيرهم احتساباً وأعلمهم بما حاز رضا الله))[٥] .

---

(١) الذخيرة: ابن بسام، ق١ / م ١ / ٤٨٧ .

(٢) ينظر: دراسات في الأدب الأندلسي: د . أيمن محمد علي ميدان، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.: ص ٩٦ .

(٣) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص٨٠- ٨٢ .

(٤) ينظر: دراسات في الأدب الأندلسي: ص ٩٢ .

(٥) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص ٨٢ – ٨٣ .

ثانياً: ابن القصيرة (؟ - ٥٠٨ هـ) :

هو أبو بكر محمد بن سليمان المعروف بان القصيرة الكلاعي الولبي .

لا بد من الاشارة في الحديث عن نثر ابن القصيرة الى نقطة اساسية هي انه عمل مع العباديين قبل ان يعمل مع يوسف بن تاشفين ومع المرابطين الذين اخلص لهم وظل معهم إلى حين وفاته، وهو ما أشار إليه الفتح بن خاقان حين قال عنه: ((وما زال يرتفع اخلاقها، ويسيم ببيانه عقلها، ويتمم فرضها ونقلها حتى طواه ضريحه وركدت ريحه))[١] .

ويقول لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ) عن إنشائه ((وهي من قبة السجع الاخشوشان، بحيث لا يخفى غرضها، وهي مع ذلك تزينها السذاجة، وتشفع لها الغرابة))[٢] .

وهذا يصدق كثيراً على زمن عمله مع العباديين حيث اتسم أسلوبه في عصر تلك الدولة بالبساطة والابتعاد عن التعقيد مع التنسيق في الموضوعات، وكانت هذه سمة النثر المشرقي في العصر الإسلامي وبداية العصر الأموي اذ تصاغ الرسائل بقالب هدفه إيضاح الغرض المطلوب بقصد الافهام والتوضيح، فالغرض هو الابلاغ وهو يستعمل الأسلوب واللغة اللذين يوفيان بهذا الغرض .

وهذا ما نجده في رسائل ابن القصيرة التسع الواردة في كتاب وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، فهذه الرسائل لا تتجاوز الواحدة منها صفحة واحدة تبتدأ عادة بصيغة دعاء على وفق الموضوع، وذكر المرسل وتاريخ الرسالة، والغرض منها، من ذلك قوله: (كتابنا أبقاكم الله، وأسبغ عليكم نعماه، وآواكم إلى كنفه المنيع وحماه، من حضرة مراكش حرسها الله، ونحن على أولنا يعلم الله حرصاً على ما ينفعكم .... ومما نوصيكم به ونحثكم عليه وهو – ولا توفيق الا بالله – مجمع صلاح دينكم ودنياكم)[٣] .

ثالثاً: ابن الجد (- ٥١٥ هـ) :

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري . وهو من بيت عريق من بيوتات برعت في الفقه، والحديث والأدب، والنسب . [٤]

(١) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: الفتح بن خاقان الإشبيلي: أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت٥٢٩هـ) حققه وعلق عليه: د. حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن – الزرقاء، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ١٧٠ .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد (ت٧٧٦هـ)، حققه ووضع حواشيه محمد بن عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م: ٢ / ٥١٨ .

(٣) كتاب وثائق تاريخية جديدة (الرسالة الخامسة): ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، لأبي الخطاب عمر بن حسن (ت٦٣٣هـ)، تح: إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، ومراجعة: د. طه حسين، الناسر: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م: ١٩٠-١٩١.

وقد تميز أسلوبه بسهولة التعبير مع الدلالة الواضحة والابتعاد عن التنميق بواسطة حسن السبك وينأى بانشائه عن فنون التزيين، وكان هذا هو الأسلوب الذي اتبعه حين كتابته الرسائل الأربع التي جاءت في كتاب ((وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين))، وهو في هذه الرسائل ترسم خطى الكتاب السابقين عبر اعتماده على الأسلوب الترسلي المتوازن الذي هو: (أحد الأساليب الكتابية الأنيقة التي أشاعت بين كتاب الدواوين في عهد الدولة العامرية، وكان من الأساليب النثرية في الشرق التي اعجب بها أدباء الأندلس، وترسموا فيها خطى الجاحظ، ونسجوا على منواله)[١] .

وقد التزم السجع في رسائله (وقد زها التسجيع في الرسائل والتزم فيها بعد شيوع الأسلوب المتوازن)[٢] .

وقد وظف الكاتب ابن الجد السجع ليكون زخرفة لفظية فعلى سبيل المثال وظف حرف السين الذي يدل على الاستقبال وهذا يدل على حذاقته ومقدرته على التحكم باختيار المفردات ((ما بعث على استجلابك واستكتابك، ودعا الى استقدامك واستخدامك))[٣] .

وكان يحسن انتخاب الحكم ويستشهد بالآيات القرآنية التي عُدَّ بعضها أمثالاً ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٤] .

وقد اتسم أسلوبه بصفة عامة بالخطاب الهادئ الداعي الى الوحدة وعدم التفرق، والحث على الألتزام والطاعة بالفاظٍ ذات رونق جميل وحسن صياغة، (لقد آن لحركتكم فيه أن تهدأ، وللنائرة بينكم ان تطفأ، ولذات بينكم ان تنصلح ولوجوه المراشد بينكم أن تتضح، فاذا وصل اليكم خطابنا هذا فاتركوا سابقة الهوى واسلكوا معه الطريقة المثلى)[٥] .

رابعاً: ابن القبطرُنة (توفي بعد سنة ٥٢٠ هـ) :

هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي المعروف بابن القبطرنة .[٦]

وهذا الكاتب واحد من فرسان الأدب ورؤسائه، كاتب مترسل، كتب للمتوكل الافطس[٧]، وهو واحد من

---

(١) الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، د . كمال اليازجي، دار الجيل، لبنان، ط ١، ١٩٨٦ م، ص ١٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٦١ .
(٣) وثائق تاريخية جديدة (الرسالة الرابعة عشرة): ص ٧٤.
(٤) من سورة البقرة: الآية ٢١٦ .
(٥) وثائق تاريخية جديدة: ص ٧٥ .
(٦) المغرب في حلى المغرب: ٣٦٧/١، والتكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار: ٩٠/٣، ترجمة رقم (٢٢٠).
(٧) المتوكل على الله عمر أبو بكر محمد بن عبد الله بن الأفطس رابع وآخر حكام بني الافطس على مدينة بطليوس . شارك في معركة الزلاقة، التي خاضها المرابطون، ضد ممالك الشمال المسيحية، لكنه بعد ذلك، لجأ لألفونسو السادس، وقامت عليه ثورة في مدينة بطليوس، عام (٤٨٧ هـ)، فدخل المرابطون المدينة، واعدموه . القلائد: ٢ / ٤٣٥، ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٩٦ .

أمراء الطوائف وبعدها كتب في ديوان يوسف بن تاشفين، وقد وصفه الكلاعي قائلاً (من رؤساء العصر في صنعة النظم والنثر)[١].

وفي كتاب وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين وردت له رسالة واحدة، كان موضوعها الحث على قتل الجراد، وذلك بسبب الأضرار التي تلحقها هذه الآفة على الزراعة والاقتصاد الذي له اهمية بالغة في دول تعيش في صراع حياة أو موت براً وبحراً مع ممالك معادية بالأضافة إلى الصراعات الداخلية وتبدل التحالفات بين ساعة وضحاها .

والمتأمل للرسالة وبسبب طبيعة موضوعها يجد أن الكاتب قد استرسل في عرض موهبته في اختيار الألفاظ (واقتداره على الأسجاع وتوليد الصور كأن الغاية منها هي إظهار افتنانه وسعة اطلاعه)[٢] . يقول الكاتب في الرسالة التي انشأها: (فقالت: اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع، فهي كذلك تثبت بالروضة فوق اليفاع، ذبابها هزج يسن ذراعاً بذراع، قد نادمت الذراع)[٣].

وستنكشف من خلال قراءة بسيطة مقدرة الكاتب ابن القبطرنة على الأتيان بالسجع ومتابعة ذلك في جمل عديدة، وعدم الاكتفاء بايراده في جملتين متتابعتين أو ثلاث .

لكنه في المقابل تمكن من رسم صور للوديان المعشوشبة والأزهار قبل قدوم الجراد عليها .

خامساً: الفتح بن خاقان (٤٨٠ هـ - ٥٢٩ هـ) :

أبو نصر الفتح بن علي بن احمد بن عبيد الله الكاتب، المعروف بابن خاقان، وكان ماجناً خليعاً لكنه رغم ذلك اتصل بامراء المرابطين، وهم من المتشددين، وهذا ما قاده الى حتفه بعد ان نال منه اعداؤه فأمر علي بن يوسف بن تاشفين بقتله في مراكش[٤] .

له في كتاب ((وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين)) رسالة واحدة هي الرسالة العشرون ، وصياغة الرسالة وانشاؤها لا يختلف عن أسلوب ابن خاقان في كتابيه (قلائد العقيان ومحاسن الاعيان)[٥] وكتاب (مطمع الأنفس ومسرح التأنس)[٦]، وهما من كتب التراجم بصياغة ادبية .

---

(١) إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس: أبي القاسم محمد بن الغفور الكلاعي (ت٥٥٠هـ) حققه وقدم له: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م: ١٤١ .

(٢) وثائق تاريخية جديدة: ص ٥٨ .

(٣) وثائق تاريخية جديدة: ص ٧٦-٧٨ .

(٤) المصدر نفسه: ص ٥٨ .

(٥) كتاب مطبوع بتحقيق: د . حسين يوسف خريوش، في مكتبة المنار – الأردن، ١٩٨٩ م .

(٦) كتاب مطبوع بتحقيق: محمد شوابكة، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط ١، ١٩٨٣ م .

وابن خاقان شأنه شأن كتّاب عصره ومؤلفيه، اهتم بنثره بالعبارة والصنعة البيانية والبديعية، وبهذا فقد اتبع هو ومعاصروه منهج المدرسة المشرقية في كتاباتهم ومؤلفاتهم، ومن الطبيعي ان الأكثار من السجع والتصنع والكلفة الذي اعتنى بها ابن خاقان جعلته يجتر الصور والمعاني اجتراراً، وعلى ما يبدو فانه استعمل موهبته وقدرته على الصياغة في التملق، وهذا ما ذهب اليه محقق الرسائل فهو يرى ان هدف الرسالة هو (التقرب الى القاضي الذي وجهت اليه الرسالة)[١].

وعند قراءة الرسالة المنشورة نجد السجع قد طبع الجمل كلها، يقول: (والراح قد استحمل حرامها، واستسهل مرامها، وغدت في كل منزل قوتاً، وبدت كئوسها دراً يحمل ياقوتاً)[٢] .

ومن الملاحظ وجود الاستعارة كثيراً في جمله فعبارة بدت كئوسها دراً يحمل ياقوتاً هو استعارة شكل الدر للكؤوس واستعار لون الياقوت ليصف به الخمر الذي احمله .

وقد عاب د .أحمد ضيف على ابن خاقان هذا (الأسلوب الاجوف، وهذه العبارة المنتفخة الفارغة من كل معنى، وان احتوى على معنى من المعاني اختفى تحت ستار الألفاظ الطنانة)[٣] .

سادساً: ابن ابي الخصال (ت ٥٤٠ هـ):

هو أبو عبدالله محمـد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال، الغافقي[٤]، كان الأستاذ في عصره حيث يقتفي الكتاب نماذج كتاباته ولذلك قال عنه المراكشي :

(ولأبي عبد الله هذا ديوان رسائل يدور بايدي أهل الأندلس قد جعلوه مثالاً يحتذونه، ونصبوه اماماً يقتفونه)[٥] .

والسبب في ذلك (انه كان متردياً في نثره متألقاً في اختيار الفاظه)، ويمكن ايجاز سمات نثره الكتابي بما يلي:

١- قدرته على التحكم باللغة والتصرف فيها في موضوعات شتى يود الكاتب الحديث عنها، من ذلك ما كتبه إلى الوحيدي يوصيه: (بعد توليتك اياهم فأشرف عليهم إشرافاً يتعقب أحوالهم فمن رأيت منه جنفاً أو نقص عليك من أطراف الحق طرفاً صرفته مذموماً واخرته ملوماً، فتفقد هذا من امورهم فانك مضطر اليه

(١) وثائق تاريخية جديدة: ص ٥٨ .
(٢) المصدر نفسه: ص ٨٠ .
(٣) بلاغة العرب في الأندلس: د.أحمد ضيف، مؤسسة تونس، دار المعارف للطباعة والنشر ،ط٢، ١٩٩٨م: ص ٢٣٧ .
(٤) المطرب من أشعار أهل المغرب: ١٨٧ .
(٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي(ت٦٤٧هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق :د.محمد زينهم محمد عرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، مصر ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ص١٥٣ .

في الديانة ...)[١] .

لا نجد في النص تشبيهاً، ولكن فيه استعارة فالحق ليس له طرف وليست هناك كناية بل هناك سجع واحد جاء في مكان صحيح، وتتجلى براعته الأسلوبية في توضيح المعنى المراد ايصاله، ذلك أنه أحسن التعامل مع اللغة التي جاءت سهلة بسيطة ذلك ان (محصوله اللغوي ساعده على بسط معانيه واختيار الالفاظ السهلة والمناسبة للمعنى ووضعها الموضع الصحيح المناسب)[٢] .

٢- غلب على رسائله الطابع الديني، ومن ذلك أقتباسه من القرآن الكريم ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[٣] .

٣- قدرته على توظيف الالفاظ الإسلامية من ذلك قوله (لأن يمدنا الله بالنصر والتمكين والملائكة والمؤمنين)[٤] .

٤- توظيفه أسلوبي الخبر والإنشاء في ابراز المعنى حيث وظف الأسلوب الخبري اذا كانت الفكرة التي يعالجها تحتاج الى تأكيد ثم يزاوج بينه وبين الاسلوب الانشائي بضروب شتى.

(١) وثائق تاريخية جديدة: ص ٦٥ .

(٢) فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال (دراسة فنية أسلوبية) محمد لخضر بن ناجي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م: ص ٤٦ .

(٣) من سورة الفرقان: الآية رقم ٧٧ .

(٤) وثائق تاريخية جديدة: ص ٦١ .

المبحث الثالث

الرسالة وعناصرها وبناؤها الفني

يمكن الحديث عن (أدب الرسائل) الذي شكل بذاته جنساً أدبياً له خصائصه وسماته، وتحت مسمى أدب الرسائل هناك انواع مختلفة من حيث أسلوب كتابها وموضوعها، واختلاف اهدافها مع التفاوت في الجمل والصياغة والرسائل والخطب هما الجنسان الأدبيان، اللذان احتلا مساحة النثر الفني في العصور القديمة .

وأدب الرسائل هو الفن الذي عكسته الرسائل لتكون الأداة في التعبير وايصال المراد ايصاله من افكار ومشاعر وعلوم، وعلى هذا فان الرسالة باتت: (لوناً من الوان النثر الفني الجميل وضرباً من ضروبه)[١] .

- **تعريف الرسالة لغة واصطلاحاً:**

الرسالة لغة: الرسالة هي التوجيه، وتلفظ بفتح الراء: (الرسالة) أو بكسرها الرسالة . والرسالة هي على ما يؤكد الفيروز آبادي هي: الإرسال، والإطلاق، والأهمال، والتوجيه)[٢] .

- **وللرسالة معنيان في الاصطلاح :**

الأول: هي أمور يرتبها الكاتب: من حكاية حال من عدوٍ أو صيد أو مدح أو تقريض، أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى[٣] .

واصبح معنى الرسالة مرادفاً لمعنى الخطاب ويدل عليه ولا يدل على سواه بالطبع سيوجه الخطاب إلى من يتلقاه متضمناً موضوعاً معيناً، ولهذا راح الأدباء الأندلسيون: (يطلقون لفظ رسالة، على كل ما ينشئه الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويوجهه إلى شخص آخر، ويشمل ذلك الجواب والخطاب).

---

(١) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ،: د. غانم جواد رضا، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ط١، ١٩٧٨م: ص ٣، و الرسالة في النثر العربي – البناء والخصائص: حسن بن يخلف مقالة منشورة في موضع نثريات يراجع الموقع الالكتروني :Nayassir . word press , com .

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: مادة (رسل): ص١٩.

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)،مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م: ٢٥/٢ وما بعدها:

ولأجل ذلك فقد تنبه الكتاب الاقدمون ممن لهم دربة ومراس في الكتابة الى وضع أسس وشروط لا ينبغي على الكتاب تجاهلها أو عدم الألتزام بها من ذلك ما قاله ابن عبد ربه : (فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت[١]، وعلى هذا فان العناية بالألفاظ والكلمات هي اول ما يجب على الكاتب أو المنشئ الالتفات له ذلك انها يجب ان تكون مطابقة لموازينها ومعاييرها) .

وبالاضافة الى ما سبق ذكره فان كاتب الرسالة عليه تنقيح ما كتب وتصحيح الخطأ ان وجد، وذلك هو اعادة النظر في الرسالة .

ثانياً: عناصر الرسالة :

للرسالة عناصر اساسية أو رئيسة واخرى ثانوية، ولا تكتمل الرسالة من دون هذه العناصر، وعناصر الرسالة الرئيسة هي :

١- المرسل اليه :

ويقصد به الشخص الذي يستقبل الرسالة، وهذا يفرض على الشخص الذي يرسل الرسالة ان يضع في حسبانه:(القدرات العقلية والمستويات المعرفية والاجتماعية للمرسل اليه)[٢]

وفي كتابات القدامى ورسائلهم، كان للمرسل اليه حضور بارز لانه حقيقة من اهم العناصر الرئيسة في مهمة التواصل التي تسعى الرسالة اليها . ومن اوجه الاهتمام بالشخص الذي يستقبل الرسالة هو تأكيدهم على منزلته الاجتماعية ومرتبته ومستوى فهمه .

وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: فأول ما ينبغي ان تستعمله في كتابتك (مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق) [٣].

وضمن هذا المفهوم قال إبراهيم بن المدبر: (لكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان تراعيها في مراسلتك اياهم في كتبك، وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه، وتعطيه قسمه، وتوفيه نصيبه) [٤] .

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت٣٤٨هـ)، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م: ١٨٦/٤ -١٨٧.

(٢) هامش عن المرسل اليه .

(٣) كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م :١/ ١٥٤.

(٤) الرسالة العذراء: إبراهيم بن المدبر، مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث، بقلم د.زكي مبارك ،دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م: ص١١.
طبعت هذه الرسالة من قبل، ووقع الخطأ في نسبتها للأديب البغدادي إبراهيم بن المدبر، والنسبة الصحيحة للمؤلف الحقيقي ابراهيم بن محمد الشيباني القيرواني، وقد كتب بها وأرسلها إلى إبراهيم بن المدبر، وقد سماها مؤلفها بالرسالة العذراء .

تعددت الجهات التي وجهت اليها الرسائل حسب موضوعها فمنها ما كانت موجهة في صورة بيان، وبعض الرسائل كانت ذات طابع اداري محض في حين ان هناك عدة رسائل كتبها (ابن القصيرة) كانت موجهة إلى رعايا الدولة من الأندلسيين وهي وصايا بعدم التفرق .

٢- المرسل :

هو صاحب الرسالة وكاتبها أو هو منشئ الرسالة الذي يتولى صياغتها واختيار الفاظها وترتيب جملها وافكارها، ولهذا يجب ان يكون ذا ثقافة واسعة واطلاع ليس على صعيد اللغة ومتعلقاتها من نحو وصرف بل على شيء من العلوم وعادات وتقاليد من يخاطبهم فذاك سيكون من دواعي اللياقة عند المخاطبة، فهو حينها سيكون عارفاً بمن يخاطب لذلك ما يختار يناسب من الفاظ، وتعابير وصيغ مخاطبة.

ان الرسائل مع اختلاف كتابها الا أنها كلها تقريباً صدرت عن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين: من ذلك نص الرسالة والمقصود الرسالة ذاتها والتي لها صدر أو ابتداء ثم الغرض وبعد الخاتمة .

والرسائل كلها – ما عدا رسالة الفتح بن خاقان – تبدأ بقول (كتابنا ويلي هذه الكلمة دعاء قصير يكون دائماً بصيغة المخاطب لأن الرسالة موجهة بهذه الصيغة عادة . ومن العبارات والادعية نورد بعض النماذج – كتابنا – ابقاكم الله واكرمكم ووقاكم المحاذير وعصمكم)[١] .

٣- نص الرسالة :

وهو متنها الذي يشتمل على المقطع الرئيس أو الفكرة الاساسية التي تشكل العمود الفقري للرسالة .

وبالطبع لن يبدأ الكاتب أو المنشئ رسالته بالفكرة الرئيسة بل يجب التمهيد لهذا الأمر بمقدمة ثم عرض الفكرة وتقديمها على أحسن طريقة ممكنة واختيار العبارات المناسبة .

ونص الرسالة المقصود ذاتها والتي فيها صدر أو ابتداء ثم الغرض وبعد الخاتمة .

ونص الرسالة هو ما يشكل العناصر الفرعية للرسالة والتي هي :

أ- الابتداء أو الصدر .

هو استهلال الرسالة، حيث يجب ذكر المرسل، والمرسل اليه، وبعد ذلك يقوم بحمد الله والثناء عليه، يلي ذلك، البسملة والصلاة على النبي (صلى الله عليه و سلم)، وهذا العنصر بكل جوانبه له وظيفة مهمة تحفز من تصل اليه الرسالة، فهو مفتتح الخطاب ولهذا شروطه التي لا تكون شرطاً في غيره، لأنه: (اذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رقيقاً كان داعية للاستماع لما يجيء بعده من كلمات)[٢].

(١) وثائق تاريخية جديدة :٨٠.

(٢) الرسالة العذراء: ٢٢ .

.. (وليكن في صدر كتابك دليل وأضح على مرادك، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما جربت فيه من فنون العلم ..، ولا تطيلن صدر كلامك إطالة تخرجه من حده، ولا تقصر به عن حقه)[١] .

وفضلاً عن ذلك اعتاد بعض المنشئين على أن يستعملوا الفاظ محددة وعبارات معينة بهدف ربط الصدر بالمقاطع الاخرى في الرسالة مثل: (أما بعد) التي تقتصر على صدر الرسائل فقط .

ومن الضروري القول ان بين الصدر، والغرض من الرسالة، روابط تسهل الانتقال . ومن ذلك العبارات التي تنبه المرسل اليه الى ما سيأتي، وهذا يعرف بالتخلص .

وفي ذلك قال الفتح بن جني: (وأذا كان المرسل حاذقاً اشار في تحميده إلى ما جاء بالرسالة من أجله).[٢]

ب/ الغرض :

ويطلق عليه اسم (المتن) وهو المقطع الأهم في الرسالة كلها، ولهذا يحرص الكاتب على أن يمهد للمتن ويحسن عرضه، وتقديمه، يعبر عنه بأجمل تعبير وأحسن لفظ بهدف أن يستجيب المرسل اليه وبذلك يتحقق القصد .

ويحدد الغرض، سمات الرسالة من حيث الشكل والأسلوب والدلالة، والوظيفة .

ج/ الخاتمة :

ويسميها قسم من القدامى بـ (المقطع) ولها اشكال شتى، وتتنوع الخاتمة باشكال منها الدعاء أو بحمد (الله تعالى) أو في الأقل الاكتفاء بالسلام .

وقد اشار بعض الكتّاب الى اهمية توفر شروط اخرى ويعدونها من أركان الرسالة ويقصدون بذلك تاريخ ومكان كتابة الرسالة[٣] .

اما الختام أو خاتمة الرسالة كانت كما يأتي:

انه على ما يشاء قدير، والسلام[٤]، والقدوم علينا ان شاء الله[٥] .

---

(١) الرسالة العذراء: ٢٢، والبيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٢٥هـ)، المحقق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، ١٤١٨ - ١٩٩٨: ٩١/١.

(٢) ينظر: الرسالة في النثر العربي – البناء والخصائص: حسن بن خليف مقالة منشورة . في موضع نثريات، يراجع الموقع الالكتروني: Mayassir.word press.

(٣) إحكام صنعة الكلام: ٦٦، والبناء الفني لرسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير، أ.د. كامل عبد ربه، وم.سوسن شنان بحر، بحث منشور في مجلة القادسية: ص٢٦.

(٤) وثائق تاريخية جديدة: ٧٣.

(٥) المصدر نفسه: ٧٤.

المبحث الرابع

الفنون البلاغية

البلاغة في اللغة العربية ليست تزويقاً وتزييناً للكلام، وليست محاولة لتلوين الجمل، بل هي جزء أصيل وعنصر أساسي، له وظيفته، وللبلاغة علاقة بالنحو، ذلك ان النحو في الحقيقة هو القاعدة والأرضية التي يقوم عليها علم البلاغة.

وتنوعت تعاريف البلاغة وكثرت الآراء فيها، فهي التي إذ سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.[١]

وللعرب تعاريفهم في البلاغة وهي كثيرة، ويرى الخطيب القزويني أنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته هذا ما قرره ابن عبد ربه[٢] .

وللبلاغة أهميتها في الكتابة والتعبير فقد سعى الكتاب في شتى العصور والأمصار إلى معرفة اسرارها والتعمق في دراستها والتضلع بفنونها ومنهم كتاب الأندلس في مختلف عصورها وأرجائها . لكن ذلك لا يعني عدم لجوء بعض الكتّاب إلى الإفراط في المبالغة في استعمال البلاغة وجعلها هدفاً بحد ذاتها.

وكان لابد أن يسلط الضوء على ما حوته الرسائل من بعض صنوف البلاغة والتعريف بها.

- **أقسام علم البلاغة:**

البلاغة ثلاثة أقسام هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع . والبلاغة في اللغة هي البلوغ والوصول، أما في الاصطلاح فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

- **المعاني في الرسائل الديوانية:**

يدرس علم المعاني من ضمن ما يدرس الايجاز والإطناب والمساواة، (فإذا جاء التعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى)[٣] - فهذا هو «المساواة» وهي الدستور الذي يُقاس عليه» فاذا نقص التعبير عن المعنى كان ذلك إيجازاً وإن زاد عليه كان ذلك إطناباً.

---

(١) أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد: للشريف المرتضى: علي بن الحسين (ت٤٣٦هـ)، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م، ١٣٧/١.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ٢٨٥/٢؛ والعقد الفريد، لأبي عمر أحمد محمد (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م: ٢٠/١.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الآفاق العربية - القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م: ص١٧٦.

والذي يتمعن في الرسائل الديوانية سيجد غلبة الاطناب عليها، وشيوع الرغبة في الاستفاضة والاسترسال حين الحديث عن موضوع محدد في بعض الرسائل.

والأطناب والتكرار واعادة المعنى الواحد يتسبب في أن يكون التكرار ثقيل الوطء في حين أن المطلوب أن يكون كلاماً مستجداً بعيداً عن التكرار فيكون أخف على النفس وأوقع منها بمحل القبول .[١] من ذلك ما ورد في الرسالة التي كتبها أبو عبدالله بن أبي الخصال متحدثاً عن كتاب(رسالة) وصلت فأراد اخبار من كتبها بالاطلاع عليها، فاجابه قائلاً: «فاجتليناه وتصفحناه، وأتينا على مجمل ومفصل ما وعاه، ولم نتجاوز حرفاً إلى ما بعده حتى تأملناه، وأحطنا علماً بفحواه ونجواه» [٢] كل هذه العبارات كان القصد منها القول انه قرأ الرسالة. وهذا يسبب إنطفاء لهيب هذا الاعجاب شيئا فشيئاً، وسبب ذلك تكرار المعنى الواحد بأسلوب واحد.[٣]

وفي بعض الرسائل نجد المساواة حيث يكون التعبير على قدر المعنى، من ذلك ما كتبه أبو القاسم بن الجد قائلاً: «عما كنا خاطبناكم فيه من اختيار رجل منكم يصلح لولاية القضاء عندكم، ووقفنا منها على اختلافكم في الرجلين في العقدين الواصلين من قبلكم، فرأينا التوقف في الأمر حتى يقع اتفاقكم».[٤]

لقد اكتفى كاتب هذه الرسالة بالعبارات التي تكفي للتعبير عن المعنى المطلوب.

وليس في الرسائل إيجاز بسبب الميل إلى عرض القدرات من قبل الكتاب ورغبتهم في السجع الذي يستلزم كتابة جملة أو جمل جديدة تنتهي بالسجعة نفسها.

- **البيان في الرسائل الديوانية:**

يختص البيان «بالطرق المختلفة لعرض المعنى الواحد بأوجه مختلفة وذلك مع إيراد الدلالة عليه».[٥] ولأجل تحقيق الهدف المتوخى من البيان يلجأ الكاتب إلى التشبيه الذي هو ايجاد شيء مشترك بين أمرين، وقد يلجأ الكاتب إلى المجاز الذي هو إسناد الفعل أو ما يحمل معناه إلى مالا يعنيه ويخصه، وهناك الكناية وهي التلميح والإشارة بدلاً من التصريح. هذا معنى معروف لا يحتاج إلى الدلالة ومن ذلك ما نجده في رسالة أبو عبدالله بن أبي الخصال وعن البراعة اللغوية التي يتصف ابن رشد بها الذي كُتبتْ الرسالة عنه «وجال بميدان البيان أفصح مجال»[٦].

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٥هـ) تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م: ٨٧٠.

(٢) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ص٧٢.

(٣) بلاغة العرب في الأندلس: د. أحمد ضيف: ص ٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ص٧٧.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية: د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ٤٠٦/١ .

(٦) وثائق تاريخية عن عصر المرابطين : ص٦٠.

وفي الرسالة نفسها وظف الشاعر بيتاً لعنترة بن شداد العبسي: (ذبابها هزج يسن ذراعاً بذراع قد نادمت الذراع)[١] ، أما أصل بيت عنترة فهو:

هــــرجـــاً يـــســـن ذراعـــــــه بـــذراعـــه قـــدح المـكـــب عـــلى الـــزنـــاد الأجـــــذم[٢]

ويقول الكاتب نفسه: «وقد قرعنا الظنابيب»[٣] وهي كناية عن الاسراع في الأمر .

ويقول أبو بكر بن القصيرة في رسالة: «وهو بلساننا متكلم، وعما في ضميرنا مترجم، وفي قالب راينا مُفْرَغٌ، وعلى منواله قُد وملحم»[٤] وقد استعمل الكاتب المجاز، فالشخص المعني بالرسالة لن يستعمل لسان غيره ليتكلم به، وقد اسند اسم الفاعل (متكلم) إلى مالا يعنيه، وفي العبارة نفسها قال: وعما في ضميرنا مترجم، ولا أحد كما هو معلوم يترجم عن الضمير، حيث اسند اسم الفاعل (مترجم) إلى أمر لا يعنيه وقصد أنه يعبر عما في نفوسنا. وأعاد الكاتب استعمال التعابير نفسها في رسالة أخرى حيث قال «بلساننا يتكلم، وعما في جنانا يترجم»[٥].

والمجاز يكثر استعماله في اللغة العربية عن قصد وغير قصد، وقد فرق الجرجاني عند حديثه عن المجاز بين الحقيقة والمجاز، فالحقيقة عنده: «كل كلمة أريد بها ما وقعت له من وضع الواضع»[٦]، واما نظرته إلى المجاز تتلخص في أنه «كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها»[٧]، من ذلك «إليه نغدو ونروح، وبه نقوم ونقعد»[٨].

وقد ندر التشبيه في الرسائل ذلك أنه يستعمل في الوصف والغزل والمديح، أما موضوعات الرسائل فكانت ادارية توجيهية إرشادية واضحة القصد وتستعمل الخطاب المباشر، والتشبيه هو وجود مشبه ومشبه به وأداة تشبيه، وإذا رفعت اداة التشبيه تحولت الصورة إلى الاستعارة .

---

(١) وثائق تاريخية جديدة: ٧٨ و ٨١.
(٢) ديوان عنترة، مطبعة الآداب، بيروت، ١٩٨٣م: ٨١.
(٣) وثائق تاريخية جديدة: ص٦١.
(٤) المصدر نفسه: ص٦٧.
(٥) وثائق تاريخية جديدة: ص٦٨.
(٦) أسرار البلاغة في علوم البيان: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت) :٣٥٠.
(٧) المصدر نفسه: ص٣٥٠.
(٨) وثائق تاريخية جديدة: ص٧١.

ومن التشبيه الذي كان نادراً في الرسائل ما كتبه أبو بكر بن القبطرنة «ولا تكونوا كأبي حسل[١]، وكنتم كمجير أم عامر»[٢]

- **البديع في الرسائل الديوانية :**

البديع قسمان واحد يهتم بالجانب المعنوي، وآخر يهتم بالجانب اللفظي، والطباق من المحسنات البديعية اللفظية، وهو كثير الورود في الرسائل ؛ لأنه يفيد الايضاح عبر ايراد المتضاد، والطباق هو «الجمع بين ضدين، أو بين الشيء وضده في بيت شعر»[٣]، من ذلك «ونتبع القديم فيه بالحديث» [٤]، «وكان من أمورهم بين ومشكل وفهم محق ومبطل»[٥].

والطباق إذا جاء مرتين في العبارة الواحدة أصبح مقابلة، من ذلك «ما امركم به أتيتموه، وما نهاكم عنه تركتموه»[٦]، «واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها، واطرح كل من يحيف عليها ويؤذيها» [٧]

ومن المحسنات البديعية الجناس الذي هو «اختلاف لفظتين في المعنى مع تشابهما لفظاً ونطقاً»[٨]، وعند ابن الأثير «أن يكون اللفظ واحد والمعنى مختلف».[٩]

من ذلك الجناس التام في «وإذا كفيت قبيح هذا ومحله، فقد بلغ هديك محلّه»[١٠]، ومن الجناس الناقص «ورميت الجمرة، وأتممت الحجَّ والعمرة»[١١].

ومن الجناس الناقص الذي لا تلهيه الاعراس والولائم ولا يزدهيه العيش الملائم»[١٢].

---

(١) أبو حسل كنية الضب، وأم عامر كناية عن الضب، واجارة أم عامر كناية عن مسدي المعروف إلى غيره. ينظر: وثائق تاريخية جديدة: ص٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٧٩.

(٣) علم البديع: عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ص٥٩.

(٤) وثائق تاريخية جديدة: ٦٠.

(٥) المصدر نفسه: ٦٣.

(٦) نفسه: ٧٣.

(٧) وثائق تاريخية جديدة: ص٧٥.

(٨) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص١٧٦.

(٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٦٢م: ٢٦٧/١، والجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني: د.نصيب دار محمد ومحمود أحمد المفتي، بحث منشور في مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لأهور – باكستان، العدد ٣٠ لسنة ٢٠١٦.

(١٠) وثائق تاريخية جديدة: ص ٨٠.

(١١) المصدر نفسه: ص٨٠.

(١٢) نفسه: ص٨٠.

وقد غصت الرسائل بالسجع فهو مبثوث في ارجائها، والسجع هو إيراد نهايات الكلام على نحو متوافق[١] ،وقد برز عدد من كتّاب الرسائل في استعمال السجع ممن اجادوا وحذقوا مواطن الجمال محققين بذلك النغم الموسيقي[٢]، من ذلك ما كتب ابن أبي الخصال «وسيبلغكم ذلك عنه، فلا تكونوا في ريب منه»[٣]، وله أيضاً «ويجمعوا بين تعفير الجباه، وتحريك الشفاه»[٤].

وكتب ابن القصيرة: «ولن يألوكم نظراً يصلح احوالكم، وينجح اعمالكم، ويحسن به الله عقابكم وقالكم»[٥].

وكتب أبو القاسم بن الجد: «فالى متى تلحون بالطلب، وتجدّون في الغلب وتقرعون النبع بالغرب»[٦].

وكتب ابن القبطرنة: «قد نادمت الذراع، ورقمتها كف الثريا الصناع، فهي ترقرق عليها للحوذان لعاع، فيتركها مسودة البقاع»[٧].

وكانت الرسائل تتسم ببراعة الاستهلال وحسن التخلص والانتقال السلس من موضوع لآخر.

- **المبالغة :**

المبالغة على وفق ما يقول أبو هلال العسكري: «ان تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وابعد نهاياته، ولا تقصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه»[٨]، كما ورد في رسالة ابن القصيرة قوله: «أنا بأحوال تلكم الجهات مهتبلون، ولمجاري الأمور بها مخيلون...، لا يخفى علينا شيء من ذلك»[٩].

وهذه الرسالة من المراسلات الأدارية التي تهتم بالشأن السياسي وقد بالغ الكاتب في سعة المعرفة والاطلاع بكل تفاصيل الوضع بحيث أنه قال تكملة لهذا الحديث، (ولا يخفى علينا شيئاً من ذلك)[١٠]، ولا بد أن هناك أموراً خافية والله وحده يعلم كل خافية.

---

(١) المثل السائر: ١٩٣/١.

(٢) تحليل خطاب الرسائل الادبية في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين، د.سمير جعفر ياسين، بغداد، مكتبة شمس الأندلس، ط١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م: ص٢٥٣.

(٣) وثائق تاريخية جديدة: ص٦٠.

(٤) المصدر نفسه: ص٦١

(٥) نفسه: ص٦٧.

(٦) نفسه: ص٧٥.

(٧) وثائق تاريخية جديدة: ص٧٨.

(٨) كتاب الصناعتين: ٣٧٨.

(٩) وثائق تاريخية جديدة: ٧٢.

(١٠) المصدر نفسه: ص٧٢.

وفي رسالة ابن أبي الخصال قال موصياً وداعياً إلى اشاعة الدعاء فقال: «واشيعوه عند الخاص والعام ليرفعوا أيديهم بالتضرع في أوقات المناجاة والقيام، ويجمعوا بين تعفير الجباه وتحريك الشفاه تحت جنح الظلام»[١] .

في هذا مبالغة كبيرة إذ لا يحتاج الدعاء إلى تعفير الجباه أو أن يكون تحت جنح الظلام، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة الآية ١٨٦] .

- **الأقتباس والتضمين :**

عد البلاغيون الأقتباس والتضمين مما أَلحق بالبديع، معنى التضمين الحسن هو أن يقوم المتكلم بتضمين كلامه شيئاً من بيتاً أو من آية قرآنية أو حتى معنى مجرد من كلامه أو مثلاً سائراً أو جملة مفيدة أو فقرة من حكمة[٢] .

والغرض من هذا الأسلوب هو جعل الكلام أكثر جمالاً، فهو أن تدرج بعض الآية والخبر ضمن الكلام يكون جزءاً منه [٣]، وقد استفاد عبدالله بن أبي الخصال من التعبير القرآني في قوله: «واكفنا ما استكفيناك» [٤] فهو يعيد إلى الذهن الآية القرآنية: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحِجْر الآية ٩٥] .

وقد استفاد أبو القاسم ابن الجد من الآية القرآنية الكريمة قال تعالى: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس الآية ٨٢] ،وقد قال الكاتب: «إذا أراد الله أمر اسناه» [٥].

هناك تعابير مثل (صدر، منشرح) وهي تحيلنا إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشَّرْح الآية ١] ، وضمن الكاتب أبو بكر ابن القبطرنة آية من سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الوَاقِعَة من الآية ٧١ الى الآية ٧٣] : فقال: «كأنما جرت عليها التي جعلها الله تذكرة وللمقوين متاع، وينزل بالوادي قد امتلا عشبا، وطلعت ازهاره شهبا»[٦].

---

(١) نفسه: ٦١.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن: ابن أبي الأصبع المصري(ت٦٦٨هـ)، تحقيق: د.حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، (د.ط): ١٤٠.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الاثير: ٢٠٠/٣.

(٤) وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ٦٦.

(٥) وثائق تاريخية جديدة: ٧٨.

(٦) وثائق تاريخية جديدة: ٧٨.

الخاتمة

لقد سعى البحث الى دراسة كتاب ((وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين)) بصورة لا تقتصر على مادتها التاريخية (وهي مادة ثمينة) فقط، بل اراد دراسة هذه الوثائق دراسة ادبية، لبيان سماتها الاسلوبية وطبيعة صياغتها الادبية، وهو جانب غير مسبوق عند تناول هذه الوثائق أو ما يشابهها من وثائق تاريخية اخرى .

ولهذا يمكننا القول ان هذه الرسائل - الوثائق انمازت بما يلي :

١- الاعتماد على الأسلوب المرسل الذي يعتمد على الابتعاد عن التكلف الذي يضيع القصد من الرسالة وتجنب التعقيد الذي يطبع الكلام بالغموض فلا يبين المراد الدقيق .

٢- لم تغب الفنون البلاغية مثل السجع عن الرسائل من دون ان يخل ذلك بتعاقب الأفكار ووضوحها لأن حكام المرابطين قاموا بانتقاء كتابهم الذين كان لهم باع طويل في الكتابة وخبرة سابقة لان بعضهم كان من كتاب أمارات وممالك الطوائف .

٣- حرص كتاب الرسائل الديوانية على الأكثار من عبارات الدعاء في مفتتح الرسائل وبيان منزلة المرسل اليه بعبارات تدل على التوقير مثل: ابقاكم الله وكتابنا ابقاكم الله وسلمكم وغيرها كثير .

٤- الرسائل هذه اصبحت وثائق تاريخية عن الوضع السياسي والحربي، وقسم منها بين طبيعة الحكم في الداخل واقترابه من الديمقراطية الحديثة عبر اعتماد الشورى.

٥- أظهرت الرسائل براعة كتّاب الرسائل في بناء الرسالة وسلاسة الانتقال بين عناصر الرسالة من الافتتاح الدعاء للمرسل اليه ثم عرض الغرض من الرسالة وختم الرسالة .

٦- ان الرسائل بينت ان من دبج الرسائل سعى الى التميز عن غيره والتفرد عمن سواه باختيار اسلوب خاص به وطريقة تعبير تحمل طابعه الشخصي .

نسأل الله ان نكون قد وفقنا في مسعانا وله الحمد على كل حال ...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ)، أبو عبدالله محمد، حققه ووضع حواشيه محمد بن عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .

٢. إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس: أبي القاسم محمد بن الغفور الكلاعي(ت٥٥٠هـ) حققه وقدم له: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٣. الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، د . كمال اليازجي، دار الجيل، لبنان، ط ١، ١٩٨٦ م

٤. أسرار البلاغة في علوم البيان: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، (د. ت).

٥. امالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد: للشريف المرتضى: علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ)، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤.

٦. الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٧. بلاغة العرب في الأندلس: د. أحمد ضيف، مؤسسة تونس، دار المعارف للطباعة والنشر ،ط٢، ١٩٩٨م.

٨. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٢٥هـ)، المحقق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، ١٤١٨ – ١٩٩٨.

٩. تاريخ أفتتاح الأندلس: ابن القوطية (ت: ٣٦٧هـ)، تحقيق: ابراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٠. تاريخ الأدب العربي في الأندلس، إبراهيم علي أبو الخشب: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.

١١. تأريخ قضاة الأندلس: الفه الشيخ أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي(ت٧٩٢هـ)وله اسم آخر وهو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، ط٥، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

١٢. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن: ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، (د. ط) .

١٣. تحليل خطاب الرسائل الأدبية في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين، د. سمير جعفر ياسين، بغداد، مكتبة شمس الأندلس، ط١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

١٤. التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار القضاعي البلنسي، لأبي بكر محمد بن عبد الله (ت: ٦٥٨هـ)، المحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٥. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله (ت ٤٨٨هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

١٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الآفاق العربية – القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

١٧. دراسات في الأدب الاندلسي: د. أيمن محمد علي ميدان، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٨. الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب: ابن فرحون المالكي إبراهيم بن علي بن محمد (٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد الاحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ،(د. ت).

١٩. ديوان عنترة، مطبعة الآداب، بيروت، ١٩٨٣م .

٢٠. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، الدار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١. ذو الوزارتين وزير المعتمد بن عباد ووزير يوسف بن تاشفين، ابن القصير حياته وأدبه، اسية الهاشمي البلغيثي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، المكتبة الرقمية.

٢٢. الرسالة العذراء: إبراهيم بن المدبر، مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث، بقلم د. زكي مبارك ،دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٣. الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ،: د. غانم جواد رضا، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ط١، ١٩٧٨م.

٢٤. الرسائل والمقامات (عبد الحميد الكاتب – بديع الزمان –الحريري): عمر فروخ، بيروت ،منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، ط٢، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.

٢٥. الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م .

٢٦. صبح الأعشى في صناعة الإنشا: لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)،مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م.

٢٧. العقد الفريد، لأبي عمر أحمد محمد (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م. وللكتاب طبعة اخرى بتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٢٨. علم البديع: عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٩. فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة علي الاوسي، مطبعة بابل، بغداد، ط٥، ١٩٨٧م .

٣٠. فنون النثر الأدبي في ظل المرابطين: د. مصطفى الزباخ، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء – المغرب والدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٣١. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٢. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: الفتح بن خاقان الإشبيلي: أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت٥٢٩هـ) حققه وعلق عليه: د. حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن – الزرقاء، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٣٣. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

٣٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الاثير(ت٦٣٠هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ط١، ١٩٦٢م

٣٥. المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، لأبي الخطاب عمر بن حسن (ت٦٣٣هـ)، تح: إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، ومراجعة: د. طه حسين، الناسر: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٣٦. المعجب في تلخيص اخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي(ت٦٤٧هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد زينهم محمد عرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،مصر ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٧. معجم المصطلحات البلاغية: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ

-١٩٨٣م.

٣٨. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي الأندلسي لأبي الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ)، تح: د . شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ١٩٥٥م.

٣٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٥هـ) تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

٤٠. موسوعة تاريخ الأندلس: د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

٤١. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله: علي بن محمد، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٩٩٠م .

٤٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقَّري، أحمد بن محمد (ت١٤٠١هـ)، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٥، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٣. وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: د. محمود علي مكي، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الرسائل الجامعية :

٤٤. أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين: محمود محمد عبد الرحمن خبازي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩١م.

٤٥. فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال (دراسة فنية أسلوبية) محمد لخضر بن ناجي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

- **الدوريات :**

٤٦. البناء الفني لرسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير، أ. د. كامل عبد ربه، وم. سوسن شنان بحر، بحث منشور في مجلة القادسية.

٤٧. الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني: د. نصيب دار محمد ومحمود أحمد المفتي، بحث منشور في مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لأهور – باكستان، العدد ٣٠ لسنة ٢٠١٦.

- **المواقع الألكترونية:**

٤٨. الرسالة في النثر العربي، البناء والخصائص: حسن بن يخليف مقالة منشورة في موضع نثريات يراجع الموقع الالكتروني :Nayassir . word press , com .